

سياحة في القرن الأفريقي

جيبوتي

كل صغير جميل

جيبوتي - منير الفيشاوي

غادرتنا مطار العاصمة الإثيوبية "أديس أبابا" متوجهين بطائرة صغيرة (55 Fokker) نحو دولة جيبوتي. واستمرت الرحلة زهاء 90 دقيقة حتى هبطت بسلا على أرض مطار جيبوتي الدولي ويدعى "مطار حمبولي الدولي". وحين انفتح باب الطائرة وهبطنا سلمها حاملين حقائبنا اليدوية استقبلتنا حرارة الجو وحرارة حفاوة الاستقبال. وفوجئنا بأنه يجب علينا أن نتوجه سيراً على الأقدام نحو مبني المطار وقاعة الجوازات والجمارك الصغيرة الحجم. لمسافة قصيرة تبلغ حوالي 300 متر. بما أوحى لنا بأن معظم الأشياء في هذا البلد يتسم بالصغر والذي بدأ من حجم الطائرة التي أقلتنا وحتى قاعات المطار نفسه. بل وصغر مساحة الدولة نفسها حيث تبلغ مساحة دولة جيبوتي 23 ألف كيلومتر مربع فقط. ولجيبوتي حدود مشتركة مع كل من الصومال من جهة الجنوب. وإثيوبيا والسودان من جهة الغرب، وإريتريا من جهة الشمال. وتطل على البحر الأحمر من جهة الشرق. كما يتراوح تعداد سكان جيبوتي ما بين خمسمئة وستمئة ألف نسمة، ولا توجد إحصائية قريبة العهد - حسب علمنا - بشأن التعداد الدقيق للسكان. والذين يدينون جميعهم تقريباً بالدين الإسلامي. ويتحدث معظم أهل جيبوتي لغات أربع. الأقل استخداماً منها اللغة العربية، والتي يسبقها في الممارسة اللغات الفرنسية والعفرية والصومالية. بل ومعظم القلائل المتحدثين بالعربية في جيبوتي من أصل يمني أو دارسين بالأزهر الشريف بالقاهرة أو خريجي مدارس وجامعات بعض الدول العربية.

القات

وباستعراض ما سبق نجد أن مواطني جيبوتي قد يختلفون في تفضيل التحدث بأي من اللغات الأربع. كما لاحظنا اختلاف التقارير بشأن التعداد السكاني. والتفضيل هنا أو الاختلاف هناك لا يفسد للود قضية. فكل شيء في عالمنا - وبضمنه جيبوتي - يقبل الاختلاف أو الاتفاق عليه. وكذلك الإقبال عليه أو الإقبال منه. ولكن في جيبوتي هناك شيء لا يختلف عليه جيبوتيان. والإقبال عليه يكاد يقترن من الإجماع الكامل ألا وهو تعاطي أو "تخزين" القات.

يحدثه نبات القات لدى منعاطيه. أخبرونا بأن تأثيره يبدأ بعد حوالي ساعة تقريباً من لحظة البدء في مضغه شريطة الاستمرار في ذلك طول الوقت حيث يبدأ شعور بالنشوة والنشاط والإحساس بحالة من السرور والابتهاج. وتستهلك جيبوتي يومياً اثني عشر طناً من القات. تبلغ قيمتها يومياً مئناً ألف دولار. وتأخر وصول الطائرة التي تحملها من إثيوبيا يثير قلق الجميع. أما تخلفها عن الحضور في أحد الأيام. فهو أمر غير وارد لما قد تثيره من هياج أو عواقب وخيمة. ←

والقات هذا هو نبات أخضر قصير الساق. ويباع في حزم. حيث يقوم متعاطوه بمضغ أوراقه ثم تخزينها بالفم على أحد الجانبين مع شرب أحد أنواع المياه الغازية المحففة بالماء. وتستغرق هذه العملية عدة ساعات تبدأ - غالباً - من الساعة الواحدة بعد الظهر وهو موعد وصول طائرة الشحن الإثيوبية التي يترقبها الناس هناك جميعاً بشغف بالغ. ويميزون أزيها عن غيرها من الطائرات. ويستمر هذا التعاطي حتى ساعات متأخرة من المساء. ويسؤال بعض المواطنين الجيبوتيين عن التأثير الذي

شاطئ مدينة "تجرّة".

The coast line of Tadjoura.

كافة التسهيلات والمساعدات لأي مستثمر يتقدم بدراسة جادة للاستثمار في أي مجال أو مشروع سواء كان صناعيا أو تجاريا أو سياحيا. أما عن المدينة ذاتها فهي مدينة صغيرة، وأكبر شيء يظهر للعيان فيها هو الميناء البحري الذي استحوذ على امتياز تطويره وإدارته هو ومطار جيبوتي (حمبولي) الدولي إدارة منطقة جبل علي بإمارة دبي، حيث وجهت هذه الإدارة استثمارات في جيبوتي تبلغ حوالي أربعمئة مليون دولار أمريكي. وهذا الاستثمار وإن بدا كبيرا وموجها لصالح دولة جيبوتي وشعبها، إلا أن الكثيرين يبدون تخوفهم من الآثار الجانبية لتلك المشاريع، خصوصا النفطي منها لما تسببه من أضرار بالغة تهدد الثروة السمكية الجيبوتية، وفي مقدمتها أسماك القرش المسماة "زو كان بالين" والموجودة فقط على مستوى العالم - في جيبوتي وأستراليا. وكذلك مناطق الشعب المرجانية في أعماق سواحلها المطل على البحر الأحمر والتي تعتبر بمثابة كنز طبيعي لا يمكن تعويضه بسهولة إذا ما أصابه ضرر، حيث إنه من المعروف أن الشعب المرجانية تنمو بواقع سنتيمتر واحد كل مئة عام. وشوارع مدينة جيبوتي العاصمة تزخر بالحركة على مدار اليوم رغم حرارة الجو هناك في فصل الصيف، وهذه الشوارع مرصوفة رصفا جيدا، ويمكن للزائر أن يرى هناك نموذجا مروريا متفردا، حيث لاحظنا - كشهود عيان - ثم تأكدنا عن طريق السؤال بأن جيبوتي كعاصمة وكدولة ليست بها إشارة مرور واحدة، ولكن مع ذلك فحركة السيارات تنساب فيها دون تعقيدات أو حوادث تذكر. ←

جيبوتي العاصمة

السياحة في جيبوتي يمكن عنونها بـ"سياحة القرن الأفريقي" بحكم موقعها ومناخها الذي يتراوح ما بين الدفء والحرارة، وبالنظر لتأكيد نظرية تأثير سلوكيات المواطنين بطقس ومناخ المناطق التي نشؤوا فيها، سنشعر إذا ما زرت جيبوتي بأنك تتعامل مع أناس طبيي القلب وأصحاب مشاعر دافئة، ولعل نصوص بياض أسنانهم وسط الوجوه السمراء تعطي شعورا مضاعفا بأن تلك البسمة العريضة تعبر عن الترحاب الشديد بالزائرين حيث يسعى الجميع - ومن بينهم من لا يعرفونك - إلى مساعدتك إذا ما سألتهم شيئا. ومدينة "جيبوتي العاصمة" ليست هي المقصد السياحي الأساسي لقاصدي السياحة والمتعة في دولة جيبوتي، أي أنها مر وليست مستقرا، خصوصا إذا ما أتى إليها السائح بالطائرة أو بالباخرة من ناحية أخرى فمدينة "جيبوتي العاصمة" تضم مقار الوزارات والمؤسسات والهيئات والشركات الحكومية، وكذلك شركات رجال الأعمال خصوصا في مجال الاستيراد والنشاط التجاري في جيبوتي يعتمد على استيراد معظم السلع - إن لم تكن كلها - فالصناعة المحلية محدودة للغاية وأبرزها استخراج وتصنيع الملح بمنطقة "لاك عسل" المتاخمة للعاصمة الجيبوتية، وبالتالي فليس هناك تقريبا أية عمليات تصديرية جدية بالذكر، والفرصة مفتوحة على مصراعها للاستثمار الصناعي والتجاري سواء كان المستثمر عربا أم أجانب. وفي هذا الإطار يقول "فيصل محمد" مدير الخدمات في غرفة التجارة والصناعة في جيبوتي بأن الدولة تقدم

وتقول إحدى السيدات الجيبوتيات إن القات يستهلك ما بين 30 إلى 40٪ من دخل الأسرة، وأن محاولات الزوجات لإنهاء أزواجهن عن تعاطيه عادة ما تنتهي بالفشل واستسلام الزوجات للتعاطي مع أزواجهن لفضاء وقت طيب معهم، وهذا - حسب قولها - أفضل من المشاحنات التي تنشأ بشأن الترافع في مثل هذه القضية الخاسرة.

والتحدث مع الجيبوتيين في هذا الموضوع يحتاج لحساسية شديدة وحرص أشد لكثرة الخطوط الحمراء الواجب عدم تخطيها، فهم يرون أن تعاطي القات هو شيء عادي، وببساطونه بأنه مجرد نبات أخضر مثله مثل أي نبات آخر، كما أنهم ينفعلون إذا ما سألتهم أحد عما إذا كان نبات القات يعتبر من النباتات المحرمة التي يتسم منعاطوها مع الوقت بالإدمان، كما يرون - دينيا - أن تعاطيها ليس حراما بدليل أنهم يتعاطون القات في رمضان بعد الإفطار أو بعد صلاة العشاء والتراويح وحتى وقت الإمساك قرب الفجر.

وبالتحدث مع عليبة القوم في هذا الشأن، أجابونا بوقار وهديء بأن لكل شعب ثقافته وعاداته المتأصلة، والشعب الجيبوتي سعيد هكذا فلم التفكير في التغيير المستحيل!؟

أما عن موضوعنا الأساسي وهو "السياحة في جيبوتي" فقد راقني كثيرا ما قالتها سيدة جيبوتية تدعى "منى" حيث ذكرت رأيها في هذا الشأن، بأن الشعب الجيبوتي ربما إذا ما وجد ملاءمة ومنشآت ومنتزهات أو أحداث أو قضايا ثقافية وفنية ينشغل بها، فقد يأتي يوم ويقنع الناس فيه عن تعاطي "القات"، قالت ذلك وأشعرتنا بأن لسان حالها يصرخ قائلا: "السياحة هي الحل".

منطقة وسط المدينة

وتزخر منطقة وسط المدينة في جيبوتي العاصمة بالمطاعم والكافيتريات. وهي منطقة ساهرة بعض الشيء في المساء. ومن أشهر المأكولات التي تشتهر بها مطاعم جيبوتي السمك المشوي والذي يتشابه في شكله وطعمه وطريقة إعداده مع السمك المسكوف الذي اشتهرت به مطاعم شارع أبو نؤاس في بغداد حيث يتم شق السمكة من جهة الظهر ثم يتم مسحها بالتوابل والبسباس (الفلفل الحار) والملح ثم تطبخ في التنور.

وفي وسط العاصمة تقع دار سينما أوديون للعرض السينمائي. والمفاجأة هنا أنها الدار السينمائية الوحيدة العاملة في دولة جيبوتي. بل وتفتح أبوابها يومين فقط في الأسبوع. وإن ذكر بعض المواطنين بأن هناك دارين آخرين للعرض السينمائي. ولكنهما أغلقتا ربما لعدم الإقبال الجماهيري على تلك الدور. خصوصا بعد انتشار التليفزيون في كل مكان بقنواته الفضائية التي لا حصر لها.

وفي وسط مدينة جيبوتي العاصمة أيضا تقع معظم الفنادق ذات الثلاثة نجوم. وهي تعد-ربما- على أصابع اليد الواحدة. ويأتي في مقدمتها فنادق: ريزدنس دي بوروب ريزدنس دي بلفيو. أما الفندق الوحيد ذو الخمسة نجوم فهو شيراتون جيبوتي.

ومن أهم الرياضات والنزهات التي يمارسها المواطنون والزائرون بالعاصمة الجيبوتية رياضة المشي على ساحل البحر الأحمر والذي يشبه الخليج الصغير. مرورا بمنطقة الميناء حيث يمكن رؤية الجانب المقابل بعد تخطي العين لمياه البحر الساكنة. ويكثر المتنزهون في الفترات المسائية تجنباً لحرارة الشمس أثناء النهار.

مكوك السياحة الجيبوتية

وفي اليوم التالي لوصول بعثة "السياحة الإسلامية" إلى جيبوتي. وأثناء لقائنا بمكوك السياحة الجيبوتية ورئيسها محمد عبد اللاه واعس مدير عام المكتب الوطني للسياحة في جيبوتي. رأينا في هذا الرجل المثقف - والذي أنهى دراسته الجامعية في فرنسا- رقباً وخضراً ونشاطاً لا يقل عن مثيله الذي شهدناه في شخص موسى محمد أحمد سفير جيبوتي بالقاهرة وأحمد عيسى جابوبه سفيرها في أسمر. حيث رأينا كم يبذل محمد عبد اللاه قصارى جهده في استقبال الوفود الأجنبية والعمل على راحتها. بل ورأيناه في بعض الأحيان يتخطى الصلاحيات الممنوحة له في سبيل اتخاذ قرارات من أن تعكس صورة متحضرة ووقورة عن بلده "جيبوتي" التي يعيشها. وأثناء لقائنا محمد واعس دخلت علينا سيدة في العقد الخامس من عمرها. تضح بالقوة والحبوبة. قدمها إلينا قائلاً: إنها السيدة حسنة حسنتو. وهي من أبرز أعضاء البرلمان الجيبوتي ومن ينتزع كرسيه ضمن نسبة 10% الممنوحة للمرأة الجيبوتية للترشيح والتمثيل البرلماني. ولها أثر مشهود في مجال العمل

النتووعي في كافة أرجاء الدولة. كما أنها غلث وتدبير مشغلا للأعمال اليدوية التي من شأنها الحفاظ على "التراث الجيبوتي".

وعلى الفور التقطت حسنة حسنتو الخيط بعد أن تعرفت علينا وعلى أهداف زيارتنا لجيبوتي. ودعنا لمرافقتها ومشاهدة حفل عرس على الطريقة "العفرية" . . أي بالأسلوب القديم الذي كانت -وما تزال- تمارسه قبائل "العفر" الأعلى نفودا بجيبوتي والناطق المتاخمة لحدودها في الدول المجاورة. وأكدت لنا بأن سلطان القبيلة بالمنطقة سيكون في شرف استقبالنا بموقع الفرح في منطقة تابعة لمحافظة "جربة".

حين غادرتنا مدينة جيبوتي العاصمة مستقلين سيارة جيب وكانت المشاهدات في الطريق تغذي عيوننا بجمال طبيعي أخاذ. فتارة من مرتفعات شاهقة فوق الجبال حيث نشاهد الوديان والبراكين والكهوف والشواطئ الممتدة وغير المستغلة. ومناطق الغابات الخضراء الساحلية. وتارة أخرى نجد أنفسنا في مستوى سطح البحر نذهب الطريق المعبد على سهول منبسطة مطلّة على شاطئ البحر الأحمر. ترمح أمامنا الغزلان والإبل الطليقة مثلما هو الحال بمنطقة "زاجالو" التي تكسوها النخيل. وكذلك المناطق البحرية التي تتناثر فيها الجزر وتبدو - خصوصا من فوق المناطق المرتفعة - وكأنها لوحة طبيعية رائعة.

لقد شاهدنا بأعيننا هذا الجمال الطبيعي الأخاذ والذي يشهد على أحد

إبداعات الخالق - عز وجل- اللانهائية. وكنا نضرب كفا على كف مرددين: "إنها كنوز سياحية متفردة مطموسة ومغيبية عن الإعلام السياحي العالمي. حرام أن تترك هكذا دون استغلال".

الطريق إلى "جربة" يمر على "بير صحة"

بعد أن انتهينا من الطريق المعبد والمرصوف على المستويات والمواصفات العالمية. دلف بنا السائق بين الجبال في مناطق وعرة للغاية. فحتاج وعورتها إلى أن يكون الركاب المارين بهذا الطريق متمتعين بلباقة بدنية عالية ومرونة عضلية متميزة. وحبذا لو كانت مفاعد السيارة من الإسفنج القوي والسميك كي يصل الراكب عند نهاية رحلته بأقل شعور من الإرهاق. ومعظم هذه الطرق خالية من السكان اللهم إلا قبائل أو جماعات سكانية بسيطة وصغيرة للغاية. أو أفراد رحل هنا وهناك. ولكن فوجئنا في الطريق بوجود مسجد. علمنا أن الذي بناه هو أحد فاعلي الخير من عرب الخليج. فتوقفنا عنده ووقفنا الله في أداء بعض الصلوات وتجاذب أطراف الحديث مع الشيوخ والشباب المقيمين به. وكان حديثا مزوجا بخفة دم كبير الشيوخ هناك الذي كان يتعمد ذكر الطرائف والمزاح معنا. كما أنهم لم ينسوا تقديم واجب الضيافة حيث قدموا لنا أقذاح الشاي المزوج بالهيل.

وبعد أكثر من ساعة من السير بالطرق الوعرة والمليئة بالأشجار المتناثرة هنا وهناك. وصلنا إلى منطقة بها عشرات البيوت العشبية والخيام. إنها قرية تدعى "بير صحة" وهي القرية التي سنبني بها وسط الجبال بعد أن داهمتنا ظلمة الليل الخالق.



وجوه حسان من جيبوتي
The Beauty of Djibouti women.

لا تختلفان في طبيعتهما عن منطقة "بير صحة" إلا في الاكتظاظ السكاني والحال التجارية والمطاعم. هذا بخلاف أن مدينة "جزة" هي مدينة ساحلية بها ميناء صغير يستقبل القوارب، ومن الممكن استغلال هذه المنطقة الجميلة في تشييد ميناء يستقبل السفن الضخمة سواء التي تنقل البضائع أو الركاب، وكذلك مرسى للقوارب واليخوت لتنشيط حركة السياحة والتجارة، كما تعطي هذه المنطقة الواعدة إلى نهضة فندقية لتصبح من أهم المناطق السياحية في جيبوتي.

وفي الليلة التالية لمبتنا في "بير صحة" وصلنا إلى منطقة العرس الجيبوتي حيث كان في استقبال الوفد أحد سلاطين "العفر" بالمنطقة والذي رحب بنا، والتقطنا بعض الصور التذكارية له ومعنا. ←

المنطقة والتي تتراوح تضاريسها ما بين المرتفعات والمنخفضات، والنقاء البيئي بها منقطع النظير، كما أن ينابيع المياه الطبيعية والمعدنية المنقاة بواسطة مسام صخور الجبال هي بمثابة ماء قراح يمكن للشارب تناوله.

"جزة" .. و "رندا"

قضينا ليلة ممتعة بها يصاحبنا مرافقنا "محمد علي" المذيع الشهير بإذاعة وتليفزيون جيبوتي، والذي أخذ يقص علينا الكثير من الحكايات وعادات أهالي منطقة "جزة" وقرية "رندا" التابعة لها، واللتين شاهدناهما في اليوم التالي، حيث

في بير صحة كان الجو بارداً أو بالأحرى منعشاً عكس جو مدينة جيبوتي العاصمة، وكانت الاستعدادات في قرية "بير صحة" بمثابة قرية سياحية فندقية مبسطة، هناك أناس يقدمون المأكولات والمشروبات الباردة والساخنة في أحضان الطبيعة الخلابة، فالأشجار كثيفة بهذه



احتفال شعبي في "رندا".
A festival in Randa.

وقد أبدى عتبان جواتا موسى وزير السياحة الجيبوتي رغبة جامحة وتعطشا شديدا إلى جذب المستثمرين العرب والأجانب للتعرف على كنوز السياحة الجيبوتية وأمطها، والتي لا تزال بكرة حتى الآن رغم تفرداها.



مندوب المجلة مع رئيس وزراء جيبوتي السيد دلايتا محمد دلايتا (الوسط) والسفير المصري السيد خالد عثمان (اليسار).
Our representative with Djibouti prime minister Mr. Deleita Mohammad Deleita (in the middle) & the Egyptian ambassador Khalid Othman (left).

جيبوتي في سطور	
العاصمة	: جيبوتي
الموقع	: القرن الإفريقي (شرق إفريقيا)
الحدود المشتركة مع كل من	: الصومال وإثيوبيا وإريتريا
مساحة الدولة	: 23000 كيلومتر مربع
عدد السكان	: حوالي نصف مليون نسمة
أهم المدن	: جيبوتي العاصمة وجزة
نظام الحكم	: جمهورية
العملة	: فرنك جيبوتي
السعر المقابل للدولار الأمريكي	: 177.760 فرنك جيبوتي
اللغات المتعامل بها	: الفرنسية، العفرية، الصومالية، العربية
الديانة	: الإسلام (حوالي 100٪ تقريبا)
عدد دور السينما	: واحدة (سينما أوديون)

ثم اصطحبنا إلى خيمة "العريس" والذي تجاذبنا معه الحديث عن أسلوب العرس "العفري" وعاداتهم وتقاليدهم التي يحرسون على المحافظة على طقوسها، تثبيتا لهوية متفردة.

واصطحبنا محمد واعس مدير المكتب الوطني للسياحة إلى مكتب وزير الشباب والرياضة والترفيه والسياحة، ودار بيننا حوار تناول هموم السياحة الجيبوتية وموقعها وسط أمواج السياحة العالمية المتلاطمة، وسبل الإعلام عنها ووضعها على خريطة السياحة الإفريقية والعالمية، وأفاق الترويج لها.

وقد أبدى عتبان جواتا موسى وزير السياحة الجيبوتي رغبة جامحة وتعطشا شديدا إلى جذب المستثمرين العرب والأجانب للتعرف على كنوز السياحة الجيبوتية وأمطها، والتي لا تزال بكرة حتى الآن رغم تفرداها.

وماذا بعد؟

والسؤال الذي نطرحه الآن لنجيب قرائنا عليه هو: وماذا بعد؟ هل ما ذكرناه هنا هو كل شيء عن السياحة في جيبوتي؟ وإجابة هذا السؤال هي: "بالطبع لا". . . إنما ما ذكرناه هو بعض أو معظم ما رأيناه بأعيننا، ولكننا نعرف عن يقين بأن ما لم نره بعد هو أكثر بكثير كان من المفترض أن نزور العديد من المواقع من الموقع السياحية الهامة مثل: منطقة "الأك عسل" إحدى ضواحي مدينة جيبوتي والتي يتم فيها استخراج وتصنيع الملح، وكانت هناك جزيرة موشي وماسكاليه، وهناك منطقة "دورالي" والتي تبعد ثمانية كيلومترات عن العاصمة، والتي يتم فيها حاليا تشييد الميناء الجديد لجيبوتي، وكذلك منطقة "عارتا بلاج" والتي تبعد عشرين كيلومترا عن العاصمة وتشتهر بأنها من أروع الشواطئ السياحية التي يقصدها قاصدي المتعة على مدار العام. ■

نبته وحيدة.
A lonely plant.

